

حكاية صديق

تكرس كلمة الحق مبدأ يرسخ الحقيقة ويزهق الباطل، ومنه تطل ينباع المحبة لتغذي الروح والنفس بعبق الإنسانية السمحة. وعندما أجدني مع لحظة صدق مع الذات ومع صديق عرفته على مدى ثلاث وأربعين سنة يصبح جوهر الإنسان الوطني الفلسطيني في شخصية صديقي منيب المصري (أبو ربيع) هو الذي يسكب كلمات الحب النابعة من القلب.

تعرفت عليه في نفس عام تخرجي من الجامعة 1962، فكان أول من اخذ بيدي في دروب المهنة التي تربطني بالأرض، ارض بلادي، مياها وصخورها وترابها وثوراتها وما يحتضنه افقها من شعب يتوق الى الحرية والاستقلال. كان بالنسبة ندى الروح الواقي من العطش وصمام النفس الذي يزف الى الأرض بشرى الحصاد.

وتزامن انتصار ثورة الجزائر مع توليه رئاسة شركة فيلبس بتروليوم فيها، ومع افتتاح أول مكتب لحركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) برئاسة الأخ الشهيد الرمز خليل الوزير (أبو جهاد) وكان أيضا في الجزائر. وهناك التقى مع الشهيد القائد خالد ياسر عرفات (أبو عمار). وارتبط معه ومع الأخ أبو جهاد بوثق وطني لا تحكمه روابط تنظيم الفصيل بقدر ما تربطه أواصر الوطن والقضية بشموليتها. واستمرت هذه العلاقة وتجذرت مصقولة بتجارب الانتصارات والانتكاسات وشموخ الاستشهاد الذي يؤكد الإيمان المطلق بحتمية النصر.

ولا أنسى فلسفة المستقبل التي تعلمتها منه اثر تجربة عملية كنت وقتها مسؤولا عن سلطة المصادر الطبيعية - المياه الجوفية في الضفة الغربية عام 1964، وكانت الشركة العربية للاعمار التي كان شريكا فيها تقوم بحفر الآبار للسلطة والتي أقوم انا بتحديد إحداثياتها على الأرض. وكان التحديد غير الموفق يعني خسارة مادية وفشل مهني. يومها قال لي وقد لاحظ اضطرابي: (عندما تواجه مشكلة مهما كانت افقر عنها الى المستقبل حولها إلى ذكرى) ومنذ أربعين عاما وهذه النصيحة تلازمي وتعز ثقتي بنفسي وتؤكد لي دائما ان (بكره أحلى). في العام 1968، ساهم مع عدد من أصدقائه في تشكيل لجنة لدعم فكرة إنشاء

معسكرات للأشبال. كان الأخ صلاح التعمري قد نفذها في مخيم البقعة القريب من عمان. وقد كلفت بصفتي عضواً في لجنة إقليم الأردن بالإشراف على معسكر البقعة. واكتشفت مدى استعداد اللجنة وخصوصاً الأخ الصديق منيب في تطوير ظاهرة الأشبال من عملية استعراضية إعلامية إلى عملية تربوية شاملة تعزز روح الثقة والإيمان المطلق بحتمية النصر والاستعداد الدائم للتضحية من أجل الوطن وحرريته. وتم الاتفاق مع الأخ أبو عمار والأخ أبو جهاد على تشكيل مؤسسة للأشبال والفتوة حيث تعاوننا على تعزيز الفكرة وبعد أيلول 1970، قبل المشاركة في وزارة وصفي التل على أمل القدرة على راب الصدع بين الأشقاء. وقد ساهم شخصياً في إطلاق سراحى من السجن. وساهم في تسهيل تحركات الأخ أبو عمار من الأحراش في جرش وعجلون إلى الخارج للمشاركة في المجلس الوطني الفلسطيني.

كان منيب يشكل المفتاح السحري لعالم الكمبرادور الفلسطيني، فهو الصريح الواضح الصادق مع الأخ أبو عمار الذي كان يحاول إقحامه في عالم السياسة من خلال عضويته في المجلسين الوطني والمركزي الفلسطيني. وفرض عليه المشاركة كوزير دولة في أول حكومة للسلطة الوطنية. ورغم اعتذاره، فقد أصر عليه أن يحضر اجتماعات القيادة الفلسطينية المشكلة من أعضاء اللجنة التنفيذية ومجلس الوزراء. وكان منيب أحد الخيارات الهامة المرشحة لمنصب رئيس الوزراء عند استحداثه. وعندما سألتني رأيي قلت له: صديقك من صدقك. أنت ناجح بتفوق في مجال العمل الوطني الاقتصادي، والاستقلال السياسي لا يتحقق إلا بالاستقلال الاقتصادي وهذه مهمتك.

وبعد استشهاد الأخ أبو عمار كان الفراغ الذي تركه ينذر بانهيار في المؤسسات الفلسطينية. ولكننا بقرار من اللجنة المركزية لحركة فتح واللجنة التنفيذية والمجلس التشريعي حققنا حالة انتقال للسلطة بصورة سلسة على مستوى رئاسة اللجنة التنفيذية. وقد تطلع الكثيرون من محبي الأخ الصديق منيب إلى دمج الاقتصاد مع السياسة من خلال ترشيحه لمنصب رئيس السلطة الوطنية. يومها شاور الأخ أبو مازن الذي لم يكن مرشحاً بعد فقال له على بركة الله. وطلب رأيي في الموضوع الذي يلح الكثيرون عليه بعدم التردد، فقلت له كما في الماضي صديقك من صدقك. الحركة متجهة نحو المرشح الوحيد رغم انفه وهو الأخ أبو مازن. وانت لا تزال الرئيس المتوج بقضية

الاقتصاد الوطني المستقل الذي يدعم الاستقلال السياسي. وابدى ارتياحا لموقفي دفعه إلى المساهمة الشخصية في حملة إنجاز الأخ أبو مازن.

هذه حكاية صديق اعتر به، حقق نجاحا باهرا بصدقه وإصراره. وبالوفاء والدعم الذي تلقاه في كل الظروف من شريكة حياته أم ربيح التي جمعت مفاتيح الصبر مع أبواب الفرج.

صخر حبش (أبو نزار)